البلاغ المبين

العتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

العدد الأول . نيسان . السنة الأولى . 2015م . 1436هـ

نشرة قرآنية ثقافية شهرية . تصدرها دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

الإشراف العام
الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإشراف الإداري
الشيخ حسن المنصوري

هيئة التحرير
الشيخ ضياء بلاسم
الشيخ حسن اللامي

الإخراج الفني
مركز الهاشمي للإبداع

القرآن دليل المؤمن وسلاح المبلغ

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾. ابراهيم : ٥٢.

انطلاقاً من مبدأ مرجعية القرآن الكريم للأمة الاسلامية ومحوريته في منظومة الفكر الإسلامي، إذ يمثل القرآن الثقل الأكبر في المنظومة الدينية كما نص حديث الثقلين الوارد عن النبي الاكرمﷺ حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». بصائر الدرجات: ٤٣٣.

أطلقت دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة المشروع القرآني لطلبة العلوم الدينية الذي يهدف الى تفعيل الأنشطة القرآنية في الأوساط الحوزوية، حيث أقامت مؤخراً ندوة قرانية استضافت خلالها نخبة من العلماء ومدراء المدارس الدينية لوضع الآليات المناسبة لتفعيل المنهج القرآني في المدارس الدينية وإصدار نشرة شهرية تعنى بالشأن القرآني، يصدرها نخبة من طلبة العلوم الدينية بإشراف دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية، تهدف الى نشر المعارف القرانية، وتعميق الوعي الفكري والديني، وتنمية المخزون الثقافي، اضافة إلى تغطية الأنشطة القرآنية، وتعزيز مكانة القرآن الكريم لدى الأوساط العلمية. وتأتي النشرة الموسومة بـ(البلاغ المبين) كرافد مهم في إحياء التراث القرآني من خلال استثارة نصوصه الزاخرة لتطوير المعرفة والنهوض بالمستوى العلمي في ظل بصائر القرآن وآياته النورانية، المقترنة بالعترة الطاهرةعليهم السلام الذين هم عدل القرآن وترجمان آياته .

كلمة الأمين العام للعتبة الحسنية المقدسة
سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك الكثير من النصوص الشريفة التي وردت تؤكد على الاهتمام بالقرآن الكريم، ضبطاً لقراءته، ودرساً، وفهماً، ووعياً لأحكامه ومناهجه، والعمل والتبليغ بها، ويُؤكَّد الأمر أكثر بالنسبة إلى طلبة العلوم الدينية ومن هم في الحوزات والمعاهد الإسلامية، فهم من جهة يقومون بهذا العمل التبليغي الذين يحتاجون إليه احتياجاً كبيراً من خلال التبليغ بالآيات القرآنية لمجتمعاتهم، وفي الوقت الذي نشهد فيه اهتماماً كبيراً بالعلوم الحوزوية من علوم الفقه والأصول وغيرها؛ إلا إننا لا نشهد ذات الاهتمام من قبل المعنيين في الحوزة العلمية بالقرآن الكريم، لاسيما فيما يرتبط بضبط قراءته وتدريس علومه، خصوصاً ونحن نعلم أن الله تعالى قد أنعم علينا في هذه الظروف بنعمة التمكين في الأرض والقدرة على التبليغ وتوعية الناس بهذه العلوم القرآنية، فلا عذر لنا بعد هذه الفرصة والمنحة الإلهية الكريمة إلا أن نعطي للقرآن الكريم استحقاقه. من هنا جاء اهتمام دار القرآن الكريم بإقامة الندوة القرآنية الأولى لتفعيل العمل القرآني في المدارس الدينية والحوزات العلمية.

أود أن أذكّر الأخوة جميعاً أنه قبل فترة لعله سنتين أو أكثر أو ربما اقل.. كان هناك لقاءً جمعنا بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وأكد في حديثه على الاهتمام بالعمل القرآني من قبل الحوزات والمدارس الدينية، واهتمام طلبتها بالقرآن الكريم من حيث الضبط لقراءته والحفظ لعدد من سوره وأجزائه، وللأسف الشديد في الوقت الحاضر يجد الناس أن طالب العلم لا يعطي للقرآن الكريم الاهتمام الذي يستحقه، في الوقت الذي نحن فيه بأمس الحاجة إلى أن نبث بين الناس ثقافة الاهتمام بالقرآن الكريم. لا شك إن الاهتمام من قبل المجتمعات بالقرآن الكريم أكبر والتوجه امتن للقرآن الكريم عندما يكون طالب العلم قدوة وأسوة في هذا المجال وكذلك في المجالات الأخرى، فإذا ما وجد هذا الاهتمام من قبل طلبة العلم في الحوزات العلمية؛ حينئذٍ يمكن أن يكون هناك حركة قرآنية كبيرة واهتمام بين الناس من دون الحاجة إلى حثهم أو تذكرتهم بالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة التي تؤكد على هذا الأمر.

اهتمام العتبة الحسينية بالمشاريع القرآنية

عندما ينطلق العمل أيضا من تحت قبة الإمام الحسين عليه السلام، وبجوار مرقده الشريف لاشك أنه سيكتسب هذا العمل البركة والقبول عند الله سبحانه وتعالى، من هنا فإننا نتوجه إلى الله تعالى بجاه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، أن يجعل في هذا العمل القبول والبركة التي تعم جميع أبناء المجتمع. ونأمل أن تكون هذه الندوة الأولى منطلق للعمل القرآني الواسع بين طلبة العلوم الدينية، وهذا ما يؤمل الحصول عليه.

هناك عدد من المشاريع القرآنية لدى العتبة الحسينية المقدسة وبقية العتبات المقدسة أيضاً من جملتها الاهتمام بالعلوم القرآنية ابتداءً ضبط قراءته وحفظ أجزاء منه، وكذلك تفسير آياته، وأمور أخرى من لدن العتبات المقدسة، وكل ذلك يأتي بهدف أن يكون للمنهج القرآني الأولوية والاهتمام لدى عامة الناس، ولكي نظهر للآخرين أن اهتمامنا يتعلق بجميع العلوم خصوصاً علوم القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي يمثل المنهج المتكامل للحياة، ومطلوب من طالب العلم في الحوزات العلمية أن يبلّغ به.

كلمة لابد منها!!

إلى طلبة الحوزات العلمية..

نقطة مهمة أود الإشارة إليها أيضاً.. وهي أنه لمن المعيب أن يعتلي طالب العلم في الحوزة العلمية المنابر ويخطئ في قراءة بعض الآيات القرآنية، لذلك لابد أن يكون هناك ضبط لقراءة الآيات القرآنية، وهو عملٌ مطلوب من كل إنسان مؤمن، حيث هناك تذكير بذلك من قبل النصوص والأحاديث الشريفة «..ليكن كل كلامكم ذكر الله وقراءة القرآن..»، جامع الأخبار: ١١٦/٦. من جهة أخرى فإن مقتضى العمل التبليغي والذي يعد من المهام الأساسية لطالب العلم في الحوزات العلمية وهو التبليغ بآيات القرآن الكريم ومفاهيمه، وعلى رأسها أن يكون هناك اهتمام بضبط القراءة الصحيحة للآيات، ولكي لا نعطي فرصة للآخرين أن يشوهوا صورة المذهب.

على طلبة العلوم الدينية في الحوزات والمعاهد الإسلامية أن يولوا اهتمامهم بضبط قراءة القرآن الكريم وأحكامها بالشكل المطلوب، وكذلك الاهتمام بتفسيره لإشاعة الثقافة القرآنية في المجتمعات، ولكي تتوجه هذه المجتمعات نحو مفاهيم القرآن الكريم وقيمه العظيمة.

مسؤولية الأمة تجاه القرآن الكريم

كلمة سماحة آية الله السيد مرتضى القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠).

سمعت من آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله) قوله: (إن القرآن مظلوم ونحن من ظلمه). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾.

وإنها حقاً لعبارة مخيفة ومرعبة إذ نعد نحن من ظلم القرآن الكريم، والنتيجة يضل الله الظالمين.

كيف نؤدي واجبنا لكي نقف أمام ظلمنا للقرآن الكريم؟

القرآن الكريم أمانة الله في أعناقنا، ونحن نصبح ونمسي ونشغل أوقاتنا بأمور أخرى، وعلى أثر الانشغال بها هجرنا كتاب الله و إنها والله لمصيبة!. لقد ورد في جملة من الأحاديث الشريفةِ أن القرآن الكريم شافع مشفع.. كيف بنا وشفيعنا يوم القيامة هو خصيمنا أيضاً؟! وفي مضمون حديث آخر: أن هناك ثلاثة يأتون يوم القيامة يخاصمون ويشكون إلى الله، الأول: هو القرآن المتروك الذي قل ما يُقرأ، وإذا قُرء قلّ ما يتدبّر فيه. أما الثاني: فهي المساجد المهجورة، والثالث: العلماء المهجورين الذين لا يأخذ بعلمهم أحد، وهؤلاء الأصناف الثلاثة يأتون يوم القيامة ويشكون إلى الله سبحانه وتعالى وعند ذلك يأخذ الله سبحانه وتعالى الحق لهؤلاء.. ففي أي موقع سوف نكون نحن يوم القيامة؟ انظر: بحار الأنوار: ٨٩/ ٤٩.

أين المجتمع عن مسؤوليته تجاه القرآن؟!

من هنا فإن على جميع شرائح المجتمع الإسلامي، من العلماء والتجّار والفلاحين والأساتذة والمعلمين والآباء والأمهات؛ أن يربوا أولادهم مادامو صغاراً على قراءة القرآن الكريم وحفظ آياته وتجويدها وفهمها. وكما تعلمون فإن للقرآن تفسير وتأويل، وله ظهر وبطن، وللبطن بطن إلى سبعة بطون، والى سبعين بطن والى ما لا تحصى، وهذا التفصيل عن المعصومين عليهم السلام، فأين نحن عن ظهر القرآن؟ وأين نحن عن بطونه؟. يقول الإمام الحسين عليه السلام: «كتاب الله ـ عز وجلّ ـ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء». بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٠.

مسؤولية الخطباء والمبلغين تجاه القرآن

إن القرآن مظلوم يستغيث ونحن أولى الناس بإغاثته والاعتناء به، خصوصاً وأن رسول الله ﷺ، يقول: «**أشراف أمتي حملة القرآن أصحاب الليل**» من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٩. وحمل القرآن لا يعني أن نحمل كلماته مجردة دون فهم مرادها والسير على هداها. علينا أيها الأخوة أن نكون حملة القرآن وقرّائه.. علينا أن نوجه مجتمعاتنا أيضاً لتكون مع القرآن الكريم، وفي الحديث «**ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن... يضيء لأهل السماء ويضيء الكواكب لأهل الأرض**». الكافي: ٢/ ٨٢١.

هل أن بيوتنا المشغولة بالتلفاز والانترنت وغيرها من وسائل اللهو تنير لأهل السماوات؟

من هنا نحن نؤكد على أصحاب المنابر والأقلام والحوزات العلمية والمدارس الأكاديمية وعلى مراجع التقليد أيضاً أن يحمّلوا الحكومة والسلطات في وزارة التربية، وزارة التعليم العالي و وزارة الثقافة؛ عليهم أن يحرصوا على أن تكون هناك حصة كبيرة مناسبة للقرآن الكريم في المدارس الابتدائية والمتوسطة والكلية والجامعات التي تبدو تقريباً فارغة من القرآن واكتفت بمعلومات قشرية.

القراءة.. التلاوة.. الترتيل.. التدبر؛ أربعة أوامر إلهية

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة المزمل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ (المزمل: ٢١).

وهنا أمر إلهي عبر هذه الآية المباركة يدل على الوجوب بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم، ويقول تعالى في صدر السورة أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ١ـ٤).

والخطاب هنا للنبي الأكرم ﷺ، ولكن نحن أيضاً مأمورون بما أمر به نبينا، حيث أمر بالقراءة والترتيل. وفي آية أخرى يقول ربنا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة: ١٢١).

وفي آية أخرى أيضاً يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤).

إذن؛ هناك أربعة أوامر ينبغي أن ننصاع إليها، وهي القراءة والتلاوة والترتيل والتدبر والآيات تشير إلى أن هناك مجموعة من الأقفال التي ينبغي للإنسان أن يفتحها بالتدبر في آيات القرآن الكريم والتأمل العميق فيها، فكلما تدبرنا في آية فتحنا قفلاً، وكلما ازدادت لدينا محاولات التدبر في القرآن الكريم كلما فتحنا العديد من هذه الأقفال وتنشرح قلوبنا، حيث يعدّ التدبّر من أهم الطرق لإنشراح القلب والصدر.

إن في القرآن الكريم كمّاً هائلاً من العجائب التي نغفل عنها كثيراً بسبب عدم تدبرنا في آياته، وهذه العجائب متاحة أمامنا ولكن من ذا الذي يستطيع أن يخوض هذا الخوض وينزل إلى أعماق القرآن الكريم لكي يستخرج كنوزه كما فعل علي بن أبي طالب عليه السلام، وتلاميذه من أمثال ابن عباس، ألا يتوفر فينا الاستعداد و القابلية أن خوض في أعماق كتاب الله كما فعل أمير المؤمنين لنستخرج منه الجواهر الثمينة؟

اتجاه معية الثقلين لإحياء القرآن الكريم

كلمة سماحة آية الله العظمى
الشيخ محمد السند

الارتباط بالقرآن الكريم أمر عظيم الشأن وجليل الخطب وليس بالهيّن، بل هو محل تجاذب في أوساط الحوزة العلمية الشيعية منذ قرون، بل بيننا وبين المدارس الإسلامية الأخرى أيضاً، وهناك اتجاهات متعددة في مجال التنظير لكيفية إحياء القرآن الكريم، ولا شك أن هذه الندوة الكريمة وهذه الخطوة الكريمة ليست لأجل أن نكرر تجارب الماضين وإنما لنستثمر تلك التجارب وننطلق إلى تجارب أخرى جديدة.

تجارب واتجاهات الإمامية في إحياء القرآن

هناك مناهج في كيفية إحياء القرآن الكريم لدى علماء الشيعة الأمامية، وهناك تجاذبات متعددة في نفس المسار الخاص في مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وفي الحقيقة الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠).

لو أردنا أن نبصر هذه الآية من سورة الفرقان المباركة فإنها لاشك تبيّن بوضوح هجر الأمة للقرآن الكريم، ومن هنا جاءت اتجاهات مختلفة بهدف إحياء كتاب الله.

هناك اتجاه تبناه البعض تحت شعار (حسبنا كتاب الله) ولكن بحسب تراث أهل البيت عليهم السلام، وما أرادوه للقرآن الكريم؛ هذا الاتجاه هو الآخر يصب في مصب هجر القرآن الكريم وليس إحيائه. أيضا هناك اتجاه آخر يطرح إسلام القرآن لا إسلام الحديث الشريف، وتوجد صيحات تتعالى اليوم من أجل فرض هذا الاتجاه، والصحيح وسط كل هذه الاتجاهات وتعددها هو إسلام بمعية الثقلين، وبعبارة أكثر وضوحاً.. إن إحياء القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا بمعية الثقلين، ومن يظن أنه يتمسك بالحديث في الجانب العلمي؛ فهو منحاز عن القرآن الكريم بلا ريب وهو أمر مفروغ منه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما نلاحظه واضحاً في تراثنا الشيعي المقروء، ففي كتاب بحار الأنوار ـ مثلاً ـ نجد أن تبويب العلامة المجلسي رحمه الله كتابه على أساس معية الثقلين (الكتاب والعترة) فهو كان يسرد الآيات القرآنية في بداية الباب ويجعله دستوراً، ومن ثم يأتي إلى الأحاديث النبوية المسلّمة يجعلها التتمة الثانية، ثم يأتي إلى روايات أهل البيت عليهم السلام ويجعلها في ظل ثوابت القرآن.

اتجاه معية الثقلين.. أصل قرآني

من هنا فإننا نذكّر بأن معية الثقلين تتلخص في أن المصحف الشريف من دون أهل البيت عليهم السلام يعني إماتته وهجره، لا بد أن تكون السنة النبوية وكلمات أهل البيت مرافقة للقرآن الكريم.

القرآن يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

وهذا يعني أن حتى تأويل المتشابه من المحكم ليس بقدرة، بل أن القرآن الكريم بحاجة إلى معلم إلهي، ومحال أن يكون معلم هذا الكتاب بشري فقط، نعم، هناك إسهامات لمعلمي البشر في مجال تبيين آيات القرآن الكريم وتوضيحها، كما أنه يعني أيضاً أن أصل معية الثقلين قرآني وعقلي ونبوي وملحمي.

إذن؛ لابد أن يكون إحياء القرآن الكريم عبر معية الثقلين التي كانت هناك محاولات لتصويرها من قبل العلماء عبر قوالب صناعية في علوم القرآن، و في علم أصول الفقه، وفي علم الفقه وفي العقائد.

إن معية القرآن الكريم بالثقلين تبدأ من وحيانية القرآن إلى ألفاظ القرآن ومعانيه وبحوره اللامتناهية، مع الأخذ بالنظر عدم انفكاك الحديث عن المصحف، وأن الإمام قرآن ناطق مع تمسكنا بالمصحف الشريف.

النبي صلى الله عليه وآله عندما يصور الثقلين ويصور القرآن الكريم بشكل دقيق جداً ويصفه بالحبل الممدود ولم يقل حبلان ممدودان، بل هو حبل ممدود طرف منه عند الله والطرف الأخر لدى الناس، وفي التعبير إشارة إلى أن حقيقة القرآن لا تنحصر بالمصحف الشريف وإن كان عظيماً مقدساً، وإنما حقيقة القرآن الكريم تبدأ بعد المصحف الشريف في طبقات المعاني وبحوره اللامتناهية من المعاني.

المعية هي النبراس لإحياء المصحف، وتجارب علمائنا من الشيخ الطوسي والعلامة المجلسي و البروجردي نموذج أن محكمات القرآن دستور وشرح هذا الدستور وتتمته الثوابت النبوية.

الحوزة العلمية.. والعمل القرآني

أبرز النقاط التي تطرق لها سماحة السيد محمد صادق الخرسان[دام عزه] في الندوة ، أكد فيها على نقاط مهمة تنفع في مجال تفعيل العمل القرآني في الحوزة العلمية كان منها :

• متابعة النشأ الجديد من أبنائنا في نشاطهم وإهتمامهم القرآني، وذكر أن هذا الأمر كان قد عمل عليه العلماء قديماً في الحوزة العلمية، حيث كان قد شاهد بنفسه جده آية الله السيد حسن الخرسان﵀ وهو يسأل أولاد طلبة العلوم اللذين يزورونه عما يحفظون من القرآن الكريم، وكان يُكرم من يقرأ بهدية لها الأثر الكبير في إستمرار الحفظ، حتى أن بعض الأعلام كان يقول إنه حفظ كثير من السور ببركة المرحوم السيد حسن الخرسان﵀.

• على الأستاذ مسؤولية كبيرة في متابعة طلبته بشكل متواصل، ويتدرج معهم في ذلك، وهذا ليس بالأمر العسير، حيث يتحقق:

ـ بالتطبيق العملي من خلال التدقيق في قراءة الآيات الواردة ضمن المطالب الدرسية.

ـ الإهتمام ببيانها (كما ينقل طلبة السيد أنه يوصيهم بمراجعة تفسير كل آية يمرون بها في دراستهم).

ـ الإهتمام بمن لديه قابلية الحفظ، حيث ينقل عن بعض الأعلام عندما سألوه عن كيفية حفظه للقرآن فأجاب: بأن ذلك بتشجيع من أستاذه ووصيته له (إذا أردت أن تحفظ القرآن فأكتب القرآن) وإتفاقا أستاذه هو آية الله السيد محمد رضا الخرسان والد السيد.

• على الطالب أن يجعل للقرآن حصة من يومه كما يجعل حصة لباقي شؤونه، وأن يحاول تصحيح تلاوته بأي وسيلة كانت من الوسائل المتعددة في زماننا، ونتطلع لأن يكون من طلبة العلوم حفاظ للقرآن الكريم، ويتحقق ذلك بإستثمار الأسفار وأوقات الفراغ كما يفعل أعلامنا.

• ينبغي تخصيص درس يُنتفع من خلاله في دفع الشبهات عن القرآن الكريم، وقد تصدى لذلك أستاذ المفسرين آية الله العظمى الشيخ محمد جواد البلاغي ﵀، وقد درس السيد في بداية أيام دراسته مقدمته ﵀ لآلاء الرحمن، وهي مقدمة نفيسة جداً ينبغي على الطلبة الإطلاع عليها.

• ينبغي أن لا تكون أفعالنا ردود أفعال على أساس أن هناك من يهتم بالقرآن أكثر منا فعلينا أن نسبقه في ذلك، بل ينبغي أن يكون إهتمامنا من منطلق الإيمان بجدوى ذلك وأثره في حياتنا.

توصيات الندوة القرآنية الحوارية لمدراء المدارس الدينية

أولاً: الاتفاق على تفعيل المناهج القرآنية بما يتناسب مع المستويات العلمية لطلبة العلوم الدينية

ثانياً: وضع آليات ووسائل للإرتقاء بالاختصاص القرآني في المدارس والحوزات العلمية وهذا يتطلب ما يلي:

١ـ إعداد كوادر قرآنية متخصصة في المدرس الدينية تمتلك المؤهلات العلمية في مجال (التفسير وعلوم القران وأساليب الحفظ وأحكام التلاوة والتجويد والوقف والإبتداء وباقي الاختصاصات القرآنية).

٢ـ اعتماد درس (قواعد التجويد والقراءة الصحيحة وعلوم القرآن) كمادة أساسية لقبول ونجاح طلبة العلوم الدينية.

٣ـ الاهتمام بحفظ القرآن ووضع منهج يلزم طالب العلم حفظ أجزاء من القرآن الكريم بحسب المرحلة الدراسية في المدارس والحوزات العلمية.

٤ـ منح الطلبة الحافظين لكل القرآن الكريم حوافز تشجيعية إضافة لرواتبهم الشهرية وكذلك حفظة خمسة أجزاء فما فوق بما يتناسب مع مستوى الحفظ.

٥ـ العمل على فتح مراكز ومعاهد قرآنية متخصصة في العلوم القرآنية لطلبة الحوزات العلمية ومنح المتخرجين شهادات رسمية.

٦ـ تشكيل لجنة متخصصة لمتابعة تطبيق التوصيات أعلاه بعد المصادقة عليها من قبل الجهات المشرفة على المدارس والحوزات العلمية في النجف الاشرف.

الأمانة العامة
للعتبة

محورية القرآن في المنظومة الدينية

ضياء بلاسم سعدون

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي سواء في الأحكام أو العقائد أو الأخلاق أو التاريخ أو في العلوم الطبيعية وغيرها، وقد عُبّر عنه في الروايات بالثقل الأكبر؛ لأنه المرجع والمصدر الأول في التشريع، وإلى جانبه الثقل الأصغر، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين يمثلون المرجعية العملية والتطبيقية لتعاليم القرآن، ولكن إذا ما قورنوا مع الكتاب كانوا هم عدله وترجمانه.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المعصوم من الزلل والخطأ عند المسلمين، وكل الكتب الحديثية خاضعة لمشرحة التقييم والتقويم العلمي، وهذه العصمة لكتاب الله الكريم هيأت لبقائه على مرّ التاريخ وجعلته عصيّاً عن أن يناله التحريف أو النيل من قداسته ومكانته. وعلى الرغم من إهمال المسلمين له وعدم اهتمامهم بمعجزة الاسلام، حيث تلقوها بالإعراض والهجران إلا أنه لو سألتهم عن أقدس كتاب حضي باحترام وتقديس بينهم لما أشاروا إلى غير القرآن الكريم.

وبمقتضى مصدرية ومحورية القرآن الكريم في التشريع إرجاع عموم المعارف الدينية، سواء في المجال الفقهي أو العقائدي أو الاخلاقي، أو غيرها إلى القرآن وتجذير مسائلها من خلاله.

فليس من البر بالقرآن تخصيص آيات الحكم الشرعي بخمسمائة آية أو أكثر أو أقل من ذلك، فالقرآن هو دستور الحياة، ومنهج يقيم أودها، وبما أن الحكم الشرعي يحدد الوظيفة العملية للمكلف بما يساير مستجدات الحياة، فلابد أن تؤخذ كافة الأبعاد المعرفية والأطر العامة للقرآن في بيان الوظيفة العملية، بحيث يكون الحكم الصادر يمثل الرؤية القرآنية في الحياة، ويحمل روح تعاليمه الرحبة التي تستوعب مختلف مناحي الحياة، نآئين عن القراءة الضيقة للدّين التي تجعل حاجزاً بين تزاوج معارفه وتمازج تعاليمه، الامر الذي يعطي انطباعاً مشوهاً عن الاسلام ومعارفه، مما يوقع الكثير في الخطأ عند تطبيق الرؤية الإسلامية للحياة، وعندها نكون أمام تطرف عملي حاد، نتيجة القراءة الخاطئة لمفاهيم الاسلام.

فالاسلام بتعاليمه القرآنية يمثل لوحة فنية تحمل منظراً جذاباً وخلاباً، وقراءة مفردات منظومتة بشكل متجزئ عن بعضها الآخر دون لحاظ واسع وشمولي لها، ما هو إلا إبطال للمنظر الجميل وتمزيق للصورة الفنية.

ومما يدعو إلى الأسف غياب الاهتمام بالدراسات المنهجية والتعليمة للقرآن وعلومه وتفسيره في أروقة المؤسسات الدينية، واختصارها على المتعارف من العلوم التي قامت على أكتاف القرآن الكريم.

ولعل من أبرز صور جاهلية العصر هو تغريب علوم القرآن الكريم وتفسيره وحفظه عن مناهج الحوزات الدينية والمعاهد والجامعات الاسلامية إلا بشكل جزئي لا يكاد يتناسب مع حجم ومكانة القرآن، حتى صار الاهتمام بدراسة القرآن الكريم من هوامش اهتمامات المؤسسات الدينية، وأصبح تقويم الطالب ليس على مقدار وعيه وفهمه وحفظه لكتاب الله تعالى، وإنما بمقدار فهمه وحفظه للمصطلحات الفقهية والأصولية والإنسانية، على الرغم من أن كتاب الله تعالى هو أساس هذه العلوم، وهو أساس الدين، وهكذا عاد القرآن حبيس الرفوف ينفض عنه الغبار بين الحين والآخر لتتلى آياته في شهر رمضان المبارك أو في مجالس الفواتح أو للاستخارة.

نعم، لا ننكر وجود محاولات طيبة لإعادة القرآن إلى موقعه، ولكن تفتقر إلى الكثير من التوسع والترويج والمنهجية، مضافاً إلى ضرورة التخلّص من أسر بعض المركوزات والموروثات المتعارفة في دراسة المناهج الحوزوية، الامر الذي يدعو إلى تحديث المنهجية المتبعة بما يواكب متطلبات العصر بتحدياته الفكرية والثقافية، ويحافظ على أصالة التراث، من خلال استنطاق النص القرآني للواقع، بما يردم الحواجز بين معارفه ويخرج آياته عن عزلتها بدون تحميل وفرض للواقع على الآيات.

إن القراءة الصحيحة للنص القرآني لا تعتمد التفكيك والتجزءة بين معارفه، فلا يمكن قراءة آيات الأحكام بمعزل عن آيات علم الكلام، أو إصدار الحكم الشرعي دون اعتماد التفسير في صناعته، لوجود ترابط عضوي عميق بين عموم معارف القرآن وتعاليمه،،والمرجعية الحاكمة على تفاصيل هذه العلوم هي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذ يتميز عن مرجعية الأحاديث المروية والمحكية في تفاصيل معارف الدين، حيث أُجيز فيها النقل بالمعنى مما عرضها للأفهام الشخصية، والخطأ والنسيان، إذا ما أخذنا مضافاً لذلك تأخير تدوين الاحاديث لمدة تتجاوز المائة سنة، فكان الحديث عرضة للنسيان، والتشابه، وأُبتلي البعض منها بالوضع والدس، والتقطيع، وظنية

السند، وغير ذلك من الآفات التي دعت أهل البيت عليهم السلام إلى وضع مقاس وميزان لمعرفة ما صدر عنهم عليهم السلام، وذلك من خلال عرض ما ورد عنهم عليهم السلام على كتاب الله تعالى، إذ يتميز بقطعية نصوصه وتواترها لفظاً، فما وافقه أخذ به، وما خالفه ضرب به عرض الجدار، وإغفال هذا الجانب في نسبة المعارف إلى الدين والاكتفاء بالاستناد إلى الروايات دون تحكيم القرآن فيها، يعد إهمالاً وهجراناً لكتاب الله تعالى، وإبقاء لآياته دون تحريكها لواقع الحياة ومستجداته، فهناك فرق واسع بين ما يسمعه الأصحاب من المعصوم عليه السلام وبين ما يحكى عنهم ويسند إليهم، فالأول لا يُحتمل فيه ما ذكرناه من الآفات، بينما يكون الثاني معرضاً لها حتى يثبت صحة إسناده إليهم.

ومن دون نظرة شمولية لتعاليم القرآن واستنطاقها لواقع الحياة لا يمكن أن تكون رسالة القرآن رسالة شاملة وخاتمة مستوفية لمقتضيات العصر ومتطلبات المرحلة، ولا يمكن أن نجد بين دفتيه حلولاً لمشاكلها.

ولا نبالغ إذا ما قلنا إن الإسلام قد اعتنى بجميع مظاهر الحياة العصرية وأشار إليها في عصر لا يفهم هذه التطورات، وبرهن بذلك على أن تعاليم الإسلام تحاكي جميع العصور وتواكب مسيرة الإنسان المتنامية عبر الزمان، وتدعم جميع التطورات التي ترتقي بالإنسان نحو العلم و الكمال.

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة؟ فقال: لإن الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة». عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١/ ص٩١.

ولا يخفى على كل ذي مسكة أن الابتعاد عن القرآن في تأصيل البناءات الدينية فتح الباب أمام الوضاعين لملأ الفراغات الكمالية والدينية التي وجدوها في سلاطين بني أمية، وأنتج أصولاً مطابقة للمصالح الذاتية من منطلقات روائية لم تخضع للتقييم القرآني، وقد ملئت بها كتب الصحاح والمسانيد والكتب الحديثية التي شكلت فيما بعد منظومة دينية لكثير من المسلمين الذين حملوا انماطاً وانساقاً متفاوتة لمفهوم الاسلام ما بين متطرف ومنزوٍ ورجعي ومسترخي في ظل تغييب مرجعية القرآن، وجاءت أجيال عبر القرون يحملون اندفاعاً متحمساً لفكر الاسلام وتعاليمه فتلقوا بدافع التحرج في الدين هذه المرويات والبناءات بما فيها الغث والسمين دون التثبت من صحتها أو عرضها على كتاب الله تعالى الذي لا نجد فيه الملابسات والتمويه والتعمية الموجودة في بعض المرويات، وهذا لا يعني بالمرة التمسك بالقرآن في معرفة تفاصيل الدين من دون الرجوع إلى الروايات في معرفة تفاصيل الشريعة بمختلف تعاليمها، ولا يعني الرجوع إلى الروايات دون عرضها على كتاب الله تعالى الذي رسم معالم أصول الشريعة، وإنما نقصد أن تكون المرجعية الأولى لكتاب الله بمقتضى كونه الثقل الأكبر، وتكون الروايات مبيّنة لمعارف القرآن ومفصّلة لأصوله.

فنظرية حسبنا كتاب الله باطلة جزماً، ونظرية الاكتفاء بالروايات دون تأصيلها قرآنياً باطلة أيضاً. والمنهج القويم هو الذي يمثل المزاوجة بين كتاب الله وما جاء به النبي وأهل البيت عليهم السلام بما لا يصادم كتاب الله؛ لانهم قرآن ناطق وترجمان القران الصامت، فأي ترجمة لا توافق الكتاب الصامت، ولا يكون لها جذر في نصوصه، فلا قيمة لها، كما ورد ذلك عنهم عليهم السلام، ومن متواليات التمسك بالروايات خاصة أن أصحابها استغرقتهم متاهات وتجاذبات الروايات المتقابلة التي استدرجتهم إلى وضع نظريات واجتهادات مستوحاة من بناءات روائية وأفهام علمائية لا تصمد أمام النقد العلمي، وفي ظل غياب التأصيل القرآني لها، حتى درج عليها أجيال وشكلت موروثاً ومركوزاً في وجدان المتشرعة، بحيث أصبح بمرور الزمان من ضروريات الدين.

وأمام هذا الواقع الخطير في قراءة الدين تملي المسؤولية الدينية علينا إعادة النظر في كثير من البناءات الروائية والاستعاضة عنها بالبناءات القرآنية ومعرفة مدى موافقتها لتلك المباني والأصول القرآنية ومخالفتها له، وضرورة إعادة النظر في تلك الأفهام التي شكلت ضرورات بتراكم الأنس بها والتلقي لها، ومن الطبيعي أن يدعي أصحاب تلك النظريات أنها من نتاجات القرآن والسنة، وعند التأمل فيها نجد أنها من نتاجات شخصية وضرورات علمائية، وكل يرسم صورة للدين من خلال أفهامه وتصوراته لا من خلال النصوص القرآنية والروائية التي لا تخرج عن أطر القرآن.

إن إرجاع الرواية إلى أصل قرآني هو المنهج المتبع عند أهل البيت عليهم السلام في بيان تعاليم الاسلام.

عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (أصول الكافي: ج١، ص٧٩، ح٥).

إن شخصية الإسلام لا تُرسم في أذهان المسلمين وغيرهم إلا بريشة قرآنية، وسنة قطعية لا تخالف كتاب الله تعالى، وليس لنا أن نرسم معالم الاسلام من خلال روايات منسوبة دون التبث منها، مع علمنا بوجود الوضع والدس والكذب فيها.

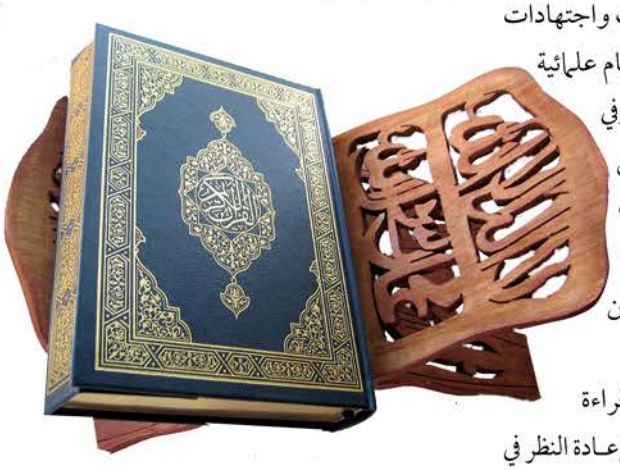

من مواعظ الآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ القصص: ٧٦ـ ٨٢ .

دروس مستفادة من وحي الآيات:

١ ـ أن الاختبار الإلهي للإنسان لا يقصر على الشر فحسب ، بل قد يشمل الإختبار بالخير والنعمة أيضاً، ويتم استدراجه بالنعم الالهية لتظهر الأفعال التي بها يستحق الإنسان الأجر والثواب أو الذم والعقاب، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، الانبياء: ٣٥ . وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ الانفال: ٢٨.

٢ ـ لا تنخدع بمظاهر الرخاء والنعمة على بعض الناس، ولا تنبهر بما تراه عليهم ومن آثار الرخاء والإعجاب بها، فهي لا تمثّل لبعضهم إلا وسيلة لمعصية الله تعالى، لتصبح عليهم عذاباً ووبالاً، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ التوبة :٥٥ .

٣ ـ لا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة ، وأنظر إلى من هو دونك فيها ، لتعرف عظيم نعمة الله عليك، فتقنع بأيسر رزقك .

٤ ـ لا تتمنى نعمة تكون سبباً في هلاكك .

٥ ـ لا تطلب من الله تعالى إلا ما فيه صلاح دينك وآخرتك ودنياك،وادعو الله تعالى أن لا يجعل مصيبتك في دينك، فكل المصائب دونها هيّنة، (وَلا تَجْعَلْ مُصيبَتَنا في ديننا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيا اَكْبَرَ هَمِّنا) البلد الأمين:٧.

٦ ـ كن واثقاً أن الرزق بيد الله تعالى وأنه مسبب الأسباب ،وأن كل ما أوتيه الإنسان من نعمة وعلم ومعرفة فبفضل الله عليه، (كلما وفقتني له من خير أحمله وأطيقه فأنت دليلي عليه وطريقه) الصحيفة السجادية ، الدعاء رقم ٩٩، دعاؤه عليه السلام في الشكر.

٧ ـ إعلم أن الدنيا لا تزن شيئاً عند الله تعالى، وإلا لما أعطاها العاصين ،فما عند الله خير للذين آمنوا.

الشيخ ضياء بلاسم سعدون

هناك قراءات متعددة في تفسير الآيات والسور المكية والمدنية، وقد يبدو لأول وهلة أن الحديث عن المكي والمدني لا يبتني على فائدة وأهمية بالغة، وهو تصور خاطئ ناتج عن قلة التدّبر في مسائل علوم القرآن ومتوالياتها المختلفة في عموم المعارف الدينية.

فقد قدمت دراسات مختلفة ونظريات متباينة في تفسير هذه الظاهرة، منها ما لا يكون ذا نفع كبير، ومنها ما يعطي للقرآن بعداً عصرياً يخرج بنصوصه من الجمود والركود إلى الحيوية والمواكبة، فالقراءات المعاصرة والدراسات المتجددة في النص القرآني أكسبه ثراء زاخراً في نظر المسلمين على أقل تقدير.

ولمعرفة الضابط في تحديد الآيات والسور المكية والمدنية قدمت نظريات متعددة، أهمها ما يلي:

الأولى: التحديدات الزمانية

يذهب أصحاب هذه النظرية والاتجاه في معرفة الآيات والسور المكية والمدنية إلى اعتبار العنصر الزمني في نزول الآيات، فالآيات والسور النازلة قبل وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، بما في ذلك الآيات النازلة في طريقه إلى المدينة ـ من قبيل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ القصص: ٨٥ ـ، تعد من الآيات المكية، والآيات التي نزلت بعد وصوله المدينة المنورة هي آيات مدنية، فكانت الهجرة النبوية الكبرى إلى المدينة فاصلاً زمنياً، وشاخصاً في تحديد الآيات والسور المكية والمدنية.

وبناء على هذا الاتجاه، لو نزلت آية بعد الهجرة النبوية على النبي ﷺ وهو في مكة المكرمة ـ من قبيل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ ـ أو في مكان آخر غير المدينة المنورة، كانت الآية من الآيات المدنية، ولو نزلت آية أو سورة على النبي ﷺ قبل الهجرة حتى لو كان خارج مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، لكانت من الآيات المكية.

قال يحيى بن سلام: (ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني. قال جلال الدين: وهذا أثر لطيف لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً). الاتقان في علوم القرآن: ١/ ٣٤.

الثانية: التحديدات المكانية

يذهب أصحاب هذا الاتجاه في معرفة الآيات المكية والمدنية إلى وضع ضابط جغرافي فيها، فما نزل في أرض مكة وحواليها، فهو مكي، ولو كان زمن نزوله بعد الهجرة النبوية، وما نزل في أرض المدينة والمناطق التابعة لها، فهو مدني، وإن كان زمن نزوله قبل الهجرة، وما نزل خارج البلدتين لا يكون مكياً ولا مدنياً. وقد رووا أن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ الرعد: ٣٠، قد نزلت في الحديبية عند عقد الصلح مع المشركين، وعندما أملى الرسول ﷺ لعلي أن يكتب البسملة، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن. فنزلت الآية. تفسير مجمع البيان: ٦، ٣٣.

الثالثة: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة

وقد نقل عن ابن مسعود: كلّ شيء نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو بمكّة، وكلّ شيء نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فهو بالمدينة. أنظر: المستدرك على الصحيحين: ١٠/ ٧٧.

وقال الزركشي: لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بأيها الناس وإن كان غيرهم داخلا فيها وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي وإن كان غيرهم داخلا فيهم. البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٨٧.

وهذا لا يصمد أمام النقد العلمي، إذ ورد في سورتي البقرة والنساء وهما مدنيتان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وهناك محاولات أخرى للحداثويين قدمت خلال القرن العشرين، منها ما ذهب إليها المفكر السوداني محمود محمد طه، في كتابه: (الرسالة الثانية من الاسلام)، حيث ذهب إلى النظرية الأولى في بيان الآيات المكية والمدنية، إلا أنه خالف حدود هذه النظرية وذهب إلى القول بأن الآيات المكية آيات حاكمة وسارية إلى قيام الساعة، وأن الآيات المدنية مختصة بالمشافهين والمخاطبين بها، وأن القرآن المكي هو الرسالة العالمية، لاشتمالها على الأصول، وأطلق على العهد المكي بالاسلام. بينما يرى تاريخية واختصاص الآيات النازلة في العهد المدني بزمانها، وعدم صلاحية انطباقها وجريها في القرن العشرين، وذلك لأنها بنيت على أساس ملاحظة الشرائط الزمكانية آنذاك، ومن المعلوم تبدّل هذه الشرائط وعدم سرايتها إلى عصرنا.

ولا شك أنها رؤية لا تنهض بنفسها لاثبات مدعاها بنحو الموجبة الكلية، فلا يخفى للمتتبع لسير الآيات القرآنية أنها أخذت بعض الشرائط والخصوصيات الزمانية والمكانية في مضامينها، وجاءت لتعالج واقعاً ملموساً، بحيث عد من

خصائص القرآن الواقعية والآنية في معالجة القضايا الحادثة، ولكن هذا لا يعني اختصاص الآيات بالمخاطبين وعدم جريها للحالات المشابهة والظروف المطابقة، وإلا فلازم ذلك موت الكثير من الآيات القرآنية، وهو لازم باطل بالضرورة، لما ثبت من عالمية الرسالة المحمدية وأن معجزة الدين الاسلامي الخالدة هو القرآن الكريم، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ .الانعام :١٩.

جدير بالتنبيه إلى أن معرفة الآية أو السورة الفلانية أنها مكية أو مدنية يتوقف على نقل الأخبار نظير ما نقل عن ابن عباس، أو من خلال الروايات التاريخية، أو من خلال سياق الآيات الحاكية عن أحداث قد وقعت في مكة أو المدينة، أو تمييز المكي منها بقصر السورة والتجانس الصوتي في آياتها، أو أنها تدعو الناس إلى الايمان بالله تعالى ونبذ الشرك، أو تعرف باشتمالها على مجادلة المشركين، أو أنها تحث على الالتزام بالأخلاق الفاضلة.

ويعرف المدني منها بطول السور وتفصيلها، وفضح المنافقين والتحذير منهم، أو ما كان منها يحمل فرضاً أو حداً فهو مدني، من قبيل ما ورد: أن كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مدنية، أو تعرف من خلال اشتمالها على الحرب أو السلم، فإن الجهاد يستتبع تمكّن الاسلام في القلوب، بحيث يكون لهم من القدرة ما يدافعوا ويقاتلوا بخلاف الحالة التي كانوا عليها في مكة، وغير ذلك من الأمور المميزة.

وهذه الطرق لا تكون قاعدة مطردة في تمييز الآيات، ولا تصلح أن تكون دليلاً قاطعاً في تمييز الآيات المكية عن المدنية إلا بنحو القرينية التي لو ضمت إلى قرائن أخرى أوجبت الاطمئنان، لأن تقسيم الآيات إلى مكي ومدني لم يكن محل اهتمام السابقين، ولم ترد في كلماتهم إلا بشكل عابر، وما ذكر لا يمكن أن يكون حالة عامة في جميع الآيات، فما ذكر لا يصدق إلا بنحو جزئي.

ثم فرّع العلماء على ذلك بيان خصائص السور والآيات المكية والمدنية، وأن الطابع العام في المكي بيان أصول الإيمان من التوحيد والايمان بالله تعالى والقيامة والجنة والنار، وأن الطابع في السور المدنية التفصيل في شرح تلك الأصول.

وقد يتسائل عن أهمية ومدى نفع هذا البحث في علوم القرآن وسائر المعارف الدينية، وماهي الثمرات المترتبة عليه والتي يمكن أن تكون منتجة علمياً وعملياً؟

وفي مقام الجواب يمكن تلخيص فوائد البحث ومنتجاته في نقاط عدة:

الأولى: توقف بعض المسائل في علوم القرآن على تحديد الآيات المكية والمدنية.

لا يخفى أهمية بحث الناسخ والمنسوخ في الأبحاث القرآنية الجدلية، ومن ضوابط معرفة الناسخ من المنسوخ تأخر الناسخ عن المنسوخ. وتعيين الآية المكية أو المدنية يعدّ مفصلاً اساسياً في معرفة الناسخ من المنسوخ، فلو ادّعي أن آية مكية نسخت آية مدنية، لم تقبل هذه الدعوى، إذا الضابط عدم تقدم الناسخ على المنسوخ، وضرورة تأخر الناسخ عنه.

الثانية: التعرف على خصائص الآيات وخصائص المخاطبين.

لا شك أن تقسيم الآيات إلى مكي ومدني لم ينبعث من فراغ أو ترف علمي،وإنما كان لوجود خصائص واضحة في الخطابات القرآنية من عمر الدعوة الاسلامية، إذ تميزت المرحلة الأولى من الإسلام المكي بخصائص لوحظت فيها طبيعة المجتمع ونفسيته وتوجهاته، بينما تميزت المرحلة الثانية من الاسلام المدني بمميزات أخرى، لما للمجتمعين المكي والمدني من فوارق متميزة تجاه الدعوة النبوية المباركة، فما مرت به الدعوة الاسلامية من تحديات لا يمكن إغفالها وعدم إخضاعها للدراسة والتحليل، خصوصاً الحدث المفصلي في عمر الدعوة الاسلامية، وهو الهجرة النبوية المباركة وما تمخض عنها من تأسيس دولة إسلامية، فرضت نمطاً ونسقاً خاصاً من النص القرآني لمواكبة الأحداث وتغطيتها سماوياً.

الثالثة: التثبت من صحة بعض النقولات والمرويات التاريخية والحديثية.

هناك الكثير من النقولات التي حشيت بالتعصب والعداء، خصوصاً الروايات المبيّنة شأن نزول الآيات في أهل البيت عليهم السلام، أو في أعدائهم، ولا يخفى أن لهذا الوجه أبعاداً تفسيرية وكلامية أيضاً، نظير سورة الانسان التي نزلت تمجّد الموقف الانساني الذي قام به أهل البيت عليهم السلام في حادثة إعتلال الحسنين عليهما السلام، ونذر أهل البيت عليهم السلام الصيام ثلاثة أيام إن شفي الحسنان، فعافاهما الله تعالى، وتصدقهم بإفطارهم ثلاثة أيام على المسكين واليتيم والأسير، والحادثة نقلها الخاص والعام، ومن المعلوم أن الحادثة بنفسها تكشف عن أنها وقعت في المدينة بعد الهجرة النبوية المباركة، حيث تم قِران علي من فاطمة عليهما السلام فيها، ثم ولادة الحسن والحسين عليهما السلام وقصة مرضهما، إلا أن بعض النفوس التي تحمل حنقاً لأهل البيت عليهم السلام حاولت صرف الفضيلة عنهم بإدعاء أن السورة مكية، كما ادعاها عبد الله بن الزبير ومن تابعه في العداء كإبن تيمية، وبعضهم حملهم على ذلك توهم السياق.

الرابعة: معرفة الظروف والشرائط والحالات التي تكتنف الاحداث.

معرفة الشرائط والظروف التي اكتنفت الآيات تشكل قرائن في كثير من الحالات لفهم المراد وظهور الكلام من خلال معرفة زمان نزول الآية ومكانها والأحداث التي نزلت فيها، الأمر الذي يسهم بشكل كبير في تفسير النص الديني ومعرفة ملابساته ومقتضياته التاريخية، فإن فهم النص وفحواه لا يمكن أن يتم بمعزل عن ظروف صدوره وشرائط المخاطبين، وملاحظة الزمان والمكان في قراءته مما يشكل منعطفاً كبيراً في تفسير النص وفهم دلالاته وأبعاده، سواء كان النص في مجال الفقه أو التفسير أو علم الكلام أو سائر المعارف، فمعرفة المكي والمدني من الآيات تمثل رافداً من روافد الحيوية والتطبيع للنصوص الدينية في مواكبة التعاليم الاسلامية لمقتضيات العصر. ومن خلال تسليط الضوء على أهم الفوائد والآثار المترتبة على معرفة الآيات والسور المكية والمدنية يتضح لنا أهمية هذا المبحث من علوم القرآن؛ لما له من أبعاد تفسيرية وفقهية وكلامية وغيرها.

أنت تسأل والقرآن يجيب

قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق :١.

قد يتسائل البعض عن الحكمة التي تقف وراء بعض التفاصيل في الأحكام ،كالطلاق الرجعي، فيستوقفه الحكم بإبقاء المطلقة رجعياً في بيت زوجها ، ولا يسمح لها بالخروج من البيت إلا بإذنه، مع جواز التجمّل والتزين له، فهي بحكم الزوجة من هذه الجهة؟ أليس من الغريب بعد أن توصل الزوجان في علاقتهما الزوجية إلى طريق شبه مسدود أن لا يأمرها القرآن بالانتقال إلى مكان آخر ومفارقة زوجها، خصوصاً أن التوجه العرفي يقتضي ذلك أيضاً؟

والجواب يأتيك من وحي آيات القرآن الكريم، فقد أعرب القرآن عن اهتمامه وحرصة بحفظ كيان الأسرة ولمّ شملها ورأب الصدع بين أفرادها ، فيشدد النكير بحق من يتسامح في هدم الأسرة، ولا يتساهل بالسماح بذلك، ولا يتراخى في المسارعة إلى ترميم العلاقة بين الزوجين، فيضع من القيود ما يكاد تكون تعجيزية، بينما يقف متساهلاً إذا كان الأمر مرتبطاً ببناء وتكوين أسرة، فلا يشترط أكثر من حصول التراضي بين الزوجين وإجراء الصيغة مع تحديد المهر، دون اعتبار حضور الشهود وسائر الشرائط المعتبرة في الطلاق؛ لأن عملية الطلاق عملية تهدف إلى هدم الأسرة، وعملية الزواج عملية تهدف إلى بناء مجتمع صالح، وكل ما كان من شأنه هدم الأسرة يقف القرآن معترضاً للحؤول دون وقوعه، ومن هنا يمكن استيحاء الحكمة من إبقاء الزوجة في بيت زوجها في الطلاق الرجعي من خلال الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق :١ .

إن بقاء الزوجة في البيت متجمّلة لزوجها مدة العدة ، قد يذيب الخلاف بمرور الأيام، فتهدأ النفوس بعد غليانها، ويتناسى الخلاف بعد حلول السكون، وتتلاشى الإنفعالات المتباينة، وتتناهى الساعات الشيطانية التي أدت إلى نشوب الخلاف وسوء التفاهم، فيأخذ العقل دوره لإعادة النظر في أسباب الخلاف، وما يؤول إليه مستقبل الأسرة والأولاد والمنزلق الخطير الذي وضعا فيه الزوجين أفراد الأسرة من الناحية التربوية والأخلاقية والإجتماعية ، فتبدأ عملية ترميم الأخطاء الماضية في ظل البقاء في بيت تلوح فيه ذكريات طيبة، فيشعر الزوجان أن الخلاف لم يبلغ أوجه، ولا زال هناك متسع من الوقت لإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي، من خلال تجميد عملية الطلاق وتفعيل الحياة الزوجية السابقة خصوصاً في أجواء ابتعدت عن وضع العثرات والعقبات أمام إعادة الحياة الزوجية.

مضافاً إلى أن اقتراب الأجساد يفسح المجال أمام أجواء عاطفية، لتطبيع العلاقات الودية، وهو الأمر الآخر يسهم في إثارة الرغبة عند الرجل في مراجعة زوجته قولاً وعملاً، فينتهي الأمر إلى الوفاق بينهما. وهذا يكشف عن وجود تناغم بين الأحكام الشرعية والفطرة البشرية، وأنها جاءت منسجمة مع خبايا النفس الإنسانية وكوامن التأثير فيه.

ويدعم هذا الاستيحاء طبيعة الفطرة البشرية والدوافع الغريزية التي جبل عليها الانسان تجاه الجنس الآخر.

حُسن الاستماع من أخلاق القرآن

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر:١٨.

من أهم ما كرم الله به عبده ومنحه من نعمه التي يعجز عن عدّها المحصون ، هي قوة السمع، وهي النعمة الأخرى التي تعد من أمهات النعم الإلهية ، حتى عدّت من القوى التي من فقد واحدة منها فقد فقد علماً ، فبها يتلقى الإنسان كلام الآخرين ليعيه ويتفاهم معهم، وبها يتحسس الأصوات ويشعر ما يدور حوله، وبها يتلذّذ بالأصوات العذبة ، وبها يسمع الأخبار السارة ، وبها يستمع إلى كلام الله تعالى ، ومن خلالها يهتدي إلى كثير مما يجهله، وبها يتم الإتصال والتواصل، ولولاها لكانت عملية الاتصال بمنتهى الصعوبة والحراجة، ولما إستطاع الإنسان أن يوغل في التطورات في مجال نقل المعلومات. والاستماع هو دليل عقل الإنسان وحكمته وإتزانه.

وكل نعمة تفضل بها الله على الإنسان جعل إلى جنبها مسؤولية حفظها وحسن استخدامها، وذلك بإن لا يسخرها في معصيته ، ففي الوقت الذي يشرّف عبده بنعمه ما يكلفه باستخدامها في طاعته، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء:٣٦ .

فالكلام الموجه والهادف يحتاج إلى آذان صاغية ومستمع واعٍ، وقد أمرنا القرآن بحسن الاستماع إلى آياته، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . الأعراف:٢٠٤ .

وقد مدح القرآن أصحاب الآذان الواعية لما يقوله الرحمن ، ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ . الحاقة:١٢ .

وإذا سمعوا لغو الكلام أعرضوا عنه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ . القصص: ٥٥ .

وذم من لا يستمع إلى كلامه أو يلغو عند سماعه، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ . فصلت: ٢٦ .

وحيث أن الاستماع آلة لفهم الخطابات ووعيها وتعقلّها، فصار من لا يعي منطق القرآن ولا يعمل به بمنزلة الصم الذين لا يسمعون، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ . يونس:٤٢ .

فحسن الاستماع هو من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها القرآن، لأن حسن الاستماع يسوق الإنسان إلى الهداية، فقد استمع نفر من الجن وكانت نتيجة ذلك أن آمنوا : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ الجن:١ ـ ٢ .

وقد استمع طائفة أخرى من الجن وأنصتوا لما يقوله الرسول، فتحولوا دعاة منذرين أقوامهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ الأحقاف: ٢٩ .

وقد استمع جماعة من اليهود غير المتعصبين إلى آيات القرآن، فتأثروا بها واستهوتهم معانيها، وقوة بنيتها، ومتانة تركيبها وسبكها، وعذوبة كلماتها، فكان لها أبلغ الأثر في نفوسهم، قال سبحانه مشيراً لذلك: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ . المائدة: ٨٣.

وبالإنصات يستوجب الإنسان الرحمة الإلهية، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . الأعراف:٢٠٤ .

ويبرهن لنا القرآن أن الاستماع عنصر أساسي في فهم الخطابات والتوجيهات الربانية، إذ لا طريق لتقبلها وقبولها إلا الاستماع، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾، المائدة:١٠٨، وقال تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ . التغابن:١٦.

وكان من أدب النبي ﷺ وخلقه ـ وكان خلقه القرآن ـ يصغي كل الإصغاء إلى من يحدثه، ويقبل عليه بوجهه، ويبدي له اهتمامه وعنايته، حتى كأنه لأول مرة يسمع الكلام، وهو الذي يحمل علم الأولين والآخرين، فهو ﷺ، يرسّخ في نفوسهم خلق الاستماع إلى الآخر عند حديثه ،حتى إذا كان فيهم من لا يبالي بمن يحدّثه منشغلاً عنه بغيره نبهه بالاستماع لترك غفلته عن الآخر ولهوه عنه.

ومن الظواهر السلبية المستشرية حتى في الأوساط العلمية وخصوصاً عند احتدام الخلافات العلمية تزدحم الإجابات ويقاطع كلام المتكلم، ويعترض عليه في أثناء حديثه وقبل أن يتم مراده، ويقوّل ما لم يقصده، ويشوش عليه أفكاره، فيخفى الصواب، حتى لا تكاد تسمع من الحوار غير الضوضاء والصراخ.

أو يحدّث الأستاذ تلميذه، ولا يجد الأستاذ انتباهاً وحضوراً للتلميذ إلا ببدنه، وقد قيل: إن أول العلم الصمت ثم حسن الاستماع.

وروي عن الإمام الباقر ﷺ حيث قال: «**إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه**». المحاسن: ١/ ١٦ .

ويكون الحديث بين الآباء والأبناء أحياناً، بينما يكون الأب سارحاً في أفكاره ، يحدّثه إبنه أو زوجته فلا يصغي إليهما، ويكون هذا الحال جارحاً للآخر مما يولّد النفور وقطع جسور التواصل بينهم .

أو يتفق أن يسألك أحد المارة عن عنوان لترشده إليه، فلا يجد اهتماماً ولا جواباً.

أو يسألك فقير، فتبدي امتعاضك منه وتذمرك، هذه صور ينبذها القرآن الكريم ويحذر من ممارستها في المجتمع.

ومن آداب الاستماع أن تبدي اهتماماً بمن يحدّثك، وأن لا تلهو عنه بالالتفات أو النظر في جوالك ، مما يشعره بعدم الاهتمام والإعراض عنه.

وأن لا تقاطع كلامه حتى يتمه، ولا تبدي إمتعاضك من خلال قسمات وجهك، وأظهر له حسن الاستماع حتى وإن كرر ما قاله مرات عدة، وأظهر له إعجابك بحديثه كأنك لأول مرة تسمع منه كلامه، ولا تطلب منه إعادة حديثة أكثر من مرة، لأنك تشعره بعدم انصاتك له ، وبهذا تكون قريباً من قلوبهم ومحبوباً عندهم ، تستجلب ودّهم، وتستميل قلوبهم، خصوصاً الأطفال، فإنهم يحبون أن يشعرهم الأخرون بالاهتمام والاستماع.

ولا يخفى أن هناك عوامل مهاراتية مهمة في لفت انتباه المستمع والسيطرة على مدركاته وعدم شرود ذهنه، فإذا كان حديث المتكلم واضحاً ومالوفاً ومفهوماً، يشتمل على الواقعية والمصداقية جامعاً للأساليب الأدبية من اختيار الكلمات الجزلة وسبك العبارة وتنظيمها، عندها سيكون المستمع قادراً على استيعاب الفكرة وربط جمل الكلام وتحليله ومعرفة النتائج المتوخاة ليسهل عليه الاحتفاظ بمضمونه واستذكار مجمل حديثه، مضافاً إلى شخصية المتحدث وقبولها لدى المستمع، وحسن أداءه، واشتماله على الجديد، كل ذلك مما له أبلغ الأثر في أسر مجامع قلب المستمع واستهواء مدركاته.

والمهم أن نعلّم أولادنا الصغار على خلق حسن الاستماع، لنغرس فيهم الأخلاق القرآنية الفاضلة، ويتحلوا بالكمالات الأخلاقية الحميدة من خلال ممارسة حسن الاستماع أثناء حديثهم، فالاطفال يتلقون أصول التربية بالممارسة العملية أكثر مما يتلقونها بالتعليم اللفظي.

وينبغي عدم إغفال مدركات الطفل ومؤهلاته وقدراته الاستيعابية، ونموّه العقلي والذهني، على أن يكون الحديث معه متناغماً مع عمره ومدركاته، وأن يكون الحديث هادئاً غير متسارعاً؛ ليسهل عليه فهم الكلام واستيعابه،مع ضرورة بيان أهمية حسن الاستماع وآثاره التربوية والأخلاقية والإيمانية، من خلال بيان الآيات التي رتبت الآثار على الاستماع، ومن خلال أحاديث أهل البيت ﷺ التي دعت إلى هذا الخلق الرفيع، من قبيل ما ورد عن الامام علي ﷺ: «**عوّد أذنك حسن الاستماع ولا تصغ إلى ما لا يزيد في إصلاحك استماعه فإن ذلك يصدئ القلوب ويوجب المذام**».

عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٣ .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه.

تأملات قرآنية

١ ـ قيل ليوسف عليه السلام وهو في السجن: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. يوسف: ٣٦.

وقيلت له وهو على خزائن مصر: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ... إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. يوسف:٧٨.

فالمعدن النقي والطاهر لا تغيّره الأحوال والمناصب.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾. الانعام: ١٣١.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. هود: ١١٧.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾. القصص:٥٩.

الآية الأولى وردت في سورة الأنعام، وبما أن الأنعام غافلة، جاء ذيل الآية بـ﴿غَـٰفِلُونَ﴾. والآية الثانية وردت في سورة هود، وهو رجل صالح، فجاءت الآية مذيّلة بـ﴿مُصْلِحُونَ﴾. والآية الثالثة وردت فيها قصة قارون، وهو رجل ظالم متكبر، فورد في ذيل الآية قوله ﴿ظَـٰلِمُونَ﴾.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ الصافات: ٧٥.

عند نزول البلاء وحلول المصائب ،لابد أن تعرف من تنادي ليخصلك مما أنت فيه، فليس كل من تناديه في الشدة يسمعك.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ الأعراف: ١٦٩.

حذار أن تستعين بنعم الله تعالى على معاصيه، فالأمل أساس الحياة ومن دونه لا يعيش الانسان إلا فاشلاً ، ولكن ليس الآمل الكاذب والمخادع الذي يلهي الإنسان عن مصيره، بل عليك مقابل كل نعمة تكليف بالشكر.

٥ ـ قوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الانعام: ١٥٣.

ليس للحق والحقيقة إلا وجه واحد، ولا تكون الوحدة إلا في ظلاله، وليس أمامك إلا صراطٌ وسبيلٌ واحد تسلكه ليقودك إلى الحق، ومن شأن الباطل التعدد والتفرق عن سبيله سبحانه وتعالى.

مفاهيم القرآن

الاختلاف جسر التعارف

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾. الحجرات: ١٣.

طبيعة الإختلاف يقود الانسان الى معرفة الآخر، بل والتعارف عليه، ولا يسوق الى القطيعة والتنافر والتباغض والتباعد .

والحكمة التي اقتضت خلق الناس مختلفين في الطبائع والعادات والألوان واللغات والايديولوجية والثقافات كان الغرض منها التعارف والتواصل لا التقاطع والانزواء، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾. هود: ١١٧.

فجعلهم مختلفين في الثقافات والشرائع ولم يجعلهم مختلفين من حيث الإنسانية والدين، فالدين واحد لا يتغير، لأن الدين من صنع الله، وجعل الحضارة واحدة وهي حضارة الانسانية، وما يشاع من حوار الحضارات يفهم منه الاختلاف فيها، بينما اذا انتسبنا الى الحضارة التي أرادها الله فهي واحدة وهي الإنسانية، نهم الحوار في الثقافات والشرائع، ولا ينبغي أن يختلف الناس لاختلاف شرائعهم، فإنما الدين هو علاقة الإنسان بربه، ولا إكراه في الدين، ولابد أن تبقى البشرية باختلاف شرائعها تعيش الأخوة الإنسانية لا التعايش الديني.

ومن المعلوم أن لكل قوم عادات وطبائع وخصوصيات تميزهم عن غيرهم وتحتفظ بعاداتهم وتقاليدهم مما يضفي نمطاً مختلفاً بين أبناء البشر والأقوام نظراً لهذه اللحاظات، وهذا لا يقتضي اختلافاً حقيقياً ولا معاداة.

وينبغي حفظ خصوصية الأقوام وعدم إلغاها ؛ لإنها تمثل عنصراً متجذراً في عمق تكوين ذاتهم وشخصياتهم، ولا تتجاوز بالمكابرة والكبت والالغاء، بل هي من صميم تركيبة الشعوب والقبائل، وإنما جاءت هذه الخصوصيات من أجل أن يجد الإنسان تفاعلاً فطرياً وذاتياً مع من يحمل مثلها، وفي الوقت نفسه دعا القرآن إلى فتح آفاق التواصل الرحب كدافع انساني وبشري فطري لإثراء التجربة الإنسانية وزيادة المعرفة والتلاقح العلمي لزيادة منتجات وإبداعات العقل البشري بمرور الزمان، ومن هنا الشيء الذي لم يحتكر على قوم دون أقوام أُخرى وعلى طائفة دون غيرها هو العلم، لما له من دور فاعل في التقارب البشري والإنساني والمعرفي لدفع عجلة التكامل نحو الأمام.

وفي سياق التعارف تأتي العولمة كرافد اصلي لتعميق التواصل العلمي والمعرفي والثقافي إن أريد بها حفظ خصوصية الآخر وإشاعة ثقافة موحدة تحفظ سنة الاختلاف المشروع، وإن أريد بها إلغاء خصوصية الآخرين والمكابرة على سائر الحريات ومصادرتها بثقافة ترى لنفسها حق الإقصاء لغيرها، فهو أمر مرفوض لا ينسجم مع الطبائع البشرية والسنن الإلهية والطبيعة الإنسانية، وهو أمر غير قابل للذوبان والتلاشي بمجرد الاعتبارات واقرار القرارات بعد إن كان الإختلاف الديني والثقافي والفكري امراً متجذراً في عمق الذات البشرية.

وهذا ما يميز تعاليم القرآن عن التعاليم الوضعية التي ابتعدت عن الواقعية، بينما خاطب القرآن كوامن الفطرة البشرية آخذاً خصوصية كل قوم منطلقاً من واقعية الحياة وضرورتها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾. ابراهيم: ٤.